مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

﴿كُبَّتْ﴾ ألقوا في النار على وجوههم منكوسين، يُرْمَوْن فيها كما يُرمى الحطبُ في التنور ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ مكة المكرمة شرَّفها الله ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ الذي جعل مكة حرماً آمناً ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين المنقادين لطاعة الله ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ سيريكم آياته الباهرة في الأنفس والآفاق ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فتعرفونها على حقيقتها حين لا تنفعكم المعرفة ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيدٌ وتهديد.

سورة القصص

﴿طسٓمٓ﴾ نقرأ عليك بواسطة جبريل من أخبار موسى وفرعون، ما فيه عظة وعبرة للمعتبرين ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تكبَّر وتجبَّر وجاوز الحدَّ في الظلم والطغيان ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ طوائف وفرقاً ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يستذل جماعة منهم «بني إسرائيل» ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يقتل الذكور، ويترك الإناث على قيد الحياة لخدمته، وخدمة أتباعه الأقباط ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الراسخين في الكفر والفساد ﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ نريد أن نجعل لهؤلاء الضعفاء المستذلين العزة والسيادة ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة وسادة في الخير ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وارثين لملك فرعون وأنصاره بعد إهلاكهم، يرثون ملكهم، ويسكنون دورهم.

سبب ذبح الأبناء الذكور من بني إسرائيل، أن فرعون رأى في نومه رؤيا أفزعته، رأى ناراً خرجت من بيت المقدس، وجاءت أرض مصر فأحرقت القبط، وفُسِّرت له بأن مولوداً من بني إسرائيل سيولد، ويكون ذهاب ملكه على يديه، فأمر بذبح الذكور، تفسير ابن كثير.

الجزء العشرون — سورة القصص

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿يَحْذَرُونَ﴾ ما كانوا يخشونه من ذهاب ملكهم على يد مولود من بني إسرائيل ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وحي إلهام لا وحي نبوة، أي ألهمناها وقذفنا في قلبها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أرضعي ولدك موسى، فإذا خفت عليه من فرعون وزبانيته ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ القيه في نهر النيل ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ لا تخافي عليه الهلاك، ولا تحزني لفراقه ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ سنردُّه إليك ونجعله رسولاً إلى العباد

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللامُ لام العاقبة أي ليكون عاقبة أمره أن يصبح لهم عدواً، ومصدر حزن وألم ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾ مذنبين متعمّدين للإثم، والخاطئ: الذي يتعمّد المعصية ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ فرحة ومسرّة لي ولك ﴿فَٰرِغًا﴾ خالياً من كل شيء إلّا من ذكر موسى ﴿لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ كادت تصيح وتقول: هذا ولدي ﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ لولا أن قوّينا قلبها وألهمناها الصبر، فقد طار عقل أمه من فرط الحزن والغمّ، وكادت تصيح: وا ابناه، لولا أن عصمها الله!! ﴿قُصِّيهِ﴾ تتبّعي أثره واعرفي خبره ﴿عَن جُنُبٍ﴾ فأبصرته عن بُعد ﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ معناه أن يقبل ثدي واحدة من المرضعات، إلا ثدي أمه لتهدأ نفسُها بسلامته ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ هل أدلُّكم على مرضعة له تُرضعه وترعاه ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ لا يقصّرون في تربيته وإرضاعه ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ فأعدناه إلى أمه لكي تفرح وتُسرّ به، وتهنأ بلقائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ ولتيقّن من صدق وعد الله بردّه عليها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ۚ قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ بلغ كمال الرشد، ونهاية القوة ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ رزقناه العلم، والفقه في الدين ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ مصر وقت الظهيرة ﴿عَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ والناس نيام وقت المقيل - الظهر - والشوارع تكاد تكون فارغة ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ بينهما شجار وخصومة ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي من جماعة فرعون ﴿ٱسْتَغَٰثَهُ﴾ استنجد الإسرائيلي بموسى، وطلب غوثه على القبطي ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ لكمه لكمةً بجُمع يده، فخرّ القبطيُ ميتاً، ولم يرد قتله إنما أراد دفعه فكانت القاضية ﴿ظَهِيرًا﴾ بسبب إنعامك عليّ بالقوة، فلن أكون عوناً لأحد من المجرمين ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يتوقع المكروه ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ فإذا الإسرائيلي الذي خلّصه بالأمس، يستغيث به ويستنجد ﴿لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قال له موسى: إنك رجل شرّير، تسبَّبتَ لي بالأمس في قتل رجل، وتريد اليوم أن توقعني في ورطةٍ أخرى!! ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ الظاهر أن القائل هو القبطي لا الإسرائيلي، لأن قوله: ﴿تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يصدر من المؤمن، إنما من الكافر، وقيل: إن القائل هو الإسرائيلي، فإنه لمّا استغاث بموسى، وسمعه يقول له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ظنّ أنه يريد أن يبطش به، فقال له: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾؟ ولمّا سمعها القبطيُ، انطلق فأخبر فرعون ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ جاء من أبعد أطراف المدينة يشتدُّ ويسرع في مشيه ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ إن فرعون وحاشيته يبحثون عنك ليقتلوك، فاخرج فأنا لك ناصح أمين.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قصد أرض مدين ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يرشدني إلى الطريق، فلا أخطئ ولا أضل!! ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وجد على البئر جماعة كثيرة، يسقون منه مواشيهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تحبسان أغنامهما عن الماء، لئلا تختلط بأغنامهم ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ قالتا: لا نسقي حتى ينصرف الناسُ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي ماشيته من الشيخوخة والكبر ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غنمهما رحمة بهما ﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ تنحَّى جانباً وجلس تحت ظل شجرة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إني جائع وأنا محتاج إلى شيء من الطعام أسدُّ به جوعي!! ولمَّا رجعت الفتاتان إلى أبيهما سريعاً قال: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا!! فأمر إحداهما أن تدعوه وهي «الكبرى» ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ تمشي بحياء وخجل، مشية الحرائر العفائف ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ يريد أن يكرمك ويعوضك عن أجر السقاية، فذهب معها، وتمّ اللقاء بين شعيب وموسى، وزوَّجه ابنته على أساس أن يرعى له الغنم ثماني سنوات أو عشراً.

قال ابن عباس: (خرج موسى من أرض مصر، وليس معه طعامٌ، وكان حافياً فما وصَلَ أرضَ مَدْين، حتىٰ سقطتْ نعلُ قدمَيْه ـ جلدتُهما ـ من الحَفاء، وجلس في الظلِّ وهو صفوةُ الله من خلقه، وإن بطنَه لَلاصقٌ بظهره من الجوع، وإن خُضْرةَ البقل لتُرى من داخلِ جوفه، وإنه لمحتاجٌ إلى شِقِّ تمرة) تفسير ابن كثير.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ﴾ أتمّ موسى مدة الخدمة وهي عشرة أعوام ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ إلى مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر ناراً تنوهج من جانب جبل الطور، لم تكن ناراً إنما هي نور رباني، شعّ في ذلك المكان ﴿جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ آتيكم بشعلة من النار ﴿تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها من البرد، كانت تلك الليلة باردة، وقد أضلّ موسى الطريق ﴿نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لمّا وصل إلى مكان النار، رأى نوراً يسطع إلى السماء، وجاءه النداء ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إن الذي يكلمك أنا ربُّ العزة والجلال، ثم أمره أن يلقي عصاه ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ كأنها حية كبيرة تدبُّ في سرعة وخفة ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولّى هارباً فزعاً منها، ولم يرجع ولم يلتفت نحوها، فناداه ربه ﴿لَا تَخَفْ﴾ ارجع ولا تخفْ فأنت آمن لأنك رسولي!! ثم أراه آية أخرى ﴿يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ أدخل يدك في فتحة ثوبك، فأدخلها ثم أخرجها فإذا هي تتلألأ، كأنها قطعة قمر ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾ هاتان معجزتان تدخل بهما على فرعون وقومه ﴿رِدْءًا﴾ عوناً يساعدني على تبليغ الرسالة لفرعون الطاغية الجبار.

ليس المراد من قوله: ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أن يقول: صدقتَ، إنما المراد توضيح كلام موسى، وأن يُلخِّص بلسانه الفصيح، وجوهَ الدلائل، ويوضِّح الحججَ والبراهينَ لفرعون وجماعته ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ سنقوّيك بأخيك، ونعينك به ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ غلبةً وتسلطاً على فرعون وقومه ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ فلا سبيل لهم إلى أذاكما، بما أيّدتكما به من المعجزات الباهرات، والغلبة لكما بإذن الله تعالى.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ لما جاءهم موسى بالبراهين الساطعة، والمعجزات الواضحة ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ ليس هذا إلّا من قبيل السحر ﴿مُّفْتَرًى﴾ مكذوب على الله ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وما سمعنا بمثل هذه الدعوى «دعوى النبوة» والوحدانية في آبائنا السابقين!! ﴿إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ قال فرعون الطاغية الجبار لأشراف قومه: ليس هناك إله غيري ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ ابنِ لي قصراً عالياً رفيعاً ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ لعلي أشاهد إله موسى الذي يزعم أنه أرسله ﴿مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ أعتقد أن موسى كاذب في هذه الدعوى!! ظنّ الأحمق أن الله جالسٌ في السماء، فهو يريد أن يصعد إليه ليراه، والظاهر أنه أراد التمويه على قومه لئلا يعتقدوا صدق موسى فيؤمنوا به!! ﴿فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ تكبّر وتعظّم فرعون وقومه عن الإيمان بالله، فأخذناه مع جنوده فطرحناهم في البحر، وأغرقناهم جميعاً ﴿أَئِمَّةً﴾ جعلناهم قادة وزعماء إلى جهنم، يقتدي بهم أهل الضلال ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ﴾ جعلنا اللعنة تلاحقهم وتطاردهم في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ من المطرودين، المبعدين من رحمة الله تعالى، والمرادُ أن اللعنة تلازمهم إلى يوم القيامة، مع الخزي والعار، وغضب الجبّار..

وإلى هنا تنتهي قصة موسى مع فرعون، ولقد أكثرَ القرآنُ من قصص بني إسرائيل، وأفاض في ذكر حوادثهم وأخبارهم، ليأخذ المؤمنون العظة والعبرة، من حياة (اليهود) هذه الأمة الطاغية الفاجرة، التي قابلت النعمة والإحسان، بالجحود والعصيان، فقتلوا الأنبياء، وسفكوا دماء الدعاة، وعبدوا العجل، وكفروا بالرحمن!!

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ وما كنت يا محمد بجانب جبل الطور الغربي ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ حين أوحينا إلى موسى بالرسالة، وكلّفناه أن يذهب إلى فرعون ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ الحاضرين في ذلك الوقت ﴿ثَاوِيًا﴾ مقيماً في أرض مدين، حتى تعلم خبر موسى وشعيب ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ولكنّا أرسلناك رسولاً، لتقصّ على قومك تلك الأخبار ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾ هلّا بعثت إلينا من يبلّغنا رسالتك؟ وجواب «لولا» محذوف تقديره: لولا اعتذارهم بذلك لما أرسلناك إليهم رسولاً!! ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ فلما جاءهم هذا القرآنُ المعظيم معجزة ساطعة، قالوا: هلّا أعطي محمد من المعجزات، مثل ما أعطي موسى من اليد والعصا؟ ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ أو لم تكفر قريش بمعجزات موسى كما كفرت بمعجزتك؟ ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ قال المشركون: ليست التوراةُ والقرآن إلا من قبيل السحر، ونحن كافرون بهما، واقترحوا أن يأتيهم ﷺ بمعجزات حسّية مشاهدة، وقد جاءهم القرآن بأعظم المعجزات فقالوا عنه: إنه سحر، وكفروا به، مع إقرارهم بالعجز عن الإتيان بسورة من مثله ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ ائتوني بكتاب منزل من عند الله، هو أهدى من التوراة والقرآن، إن كنتم تريدون اتّباع الحقّ!!

قال ابن كثير: وقد عُلِم أن الله لم يُنزل كتاباً من السماء، هو أكملُ ولا أشملُ، ولا أفصحُ ولا أعظمُ من (القرآن) الذي أنزله على محمد ﷺ، وبعده في الشرف والعظمة (التوراة) وأمّا الإنجيلُ فقد جاء متمّماً للتوراة، ومحلّلاً لبعض ما حُرّم على بني إسرائيل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

الجزء ٢٠

﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أنزلنا عليهم القرآن متتابعاً متواصلاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليتعظوا ويتذكروا بما فيه ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أنزلنا عليهم التوراة والإنجيل من قبل القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدّقون بالقرآن، كالنجاشي، وابن سلام، وبعض القس والرهبان ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إذا سمعوا آيات الذكر الحكيم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ صدّقنا كلام ربنا ﴿مُسْلِمِينَ﴾ كنا قبل نزوله مخلصين التوحيد لله، نعلم أنه سيبعث آخر الزمان خاتم الأنبياء ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ يعطون أجرهم مضاعفاً، لإيمانهم بكتابهم، ولإيمانهم بالقرآن، وفي الحديث: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه، وآمن بمحمد وصدّقه.. الحديث رواه مسلم ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون الكلام القبيح، بالكلمة الطيبة الجميلة.

سبب النزول: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في «أبي طالب» دخل عليه الرسول في مرض موته، وعرض عليه الإسلام، وقال له: «يا عم قل: (لا إله إلا الله) أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال أبو طالب: لولا أن تعيّرني قريشٌ لأقررتُ بها عينك!! وأبى أن يقول: «لا إله إلا الله» فيه نزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية رواه مسلم، ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أصابها البطرُ والترف، وطغت وتمرّدت على ربها، فدمّر الله ديارهم، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خالية من السُّكان لأنهم بادوا، ولم يسكنها بعدهم إلا قليلٌ من المسافرين المارة، يسكنونها يوماً أو بعض يوم ﴿الْوَارِثِينَ﴾ كنا نحن الوارثين لأموالهم وديارهم ﴿فِي أُمِّهَا﴾ في عاصمتها وكبرى مدنها

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ هل المؤمن الذي وعدناه بالجنة على إيمانه وعمله الصالح ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ فهو لا محالة مدركه ﴿مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كالكافر الذي متعناه في الدنيا بزينتها وشهواتها، بمتاع فانٍ زائل ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للعذاب، يُساق إلى نار الجحيم!! هل يتساوى هذا مع هذا؟ ﴿شُرَكَآءِىَ﴾ وقيل للكفار: استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا، لتنقذكم وتخلّصكم من عذاب الله!؟ وهذا للتهكم والسخرية ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ استغاثوا بهم فلم ينفعوهم بوجه من الوجوه ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ شاهدوا العذاب الأليم، وقد كانوا يكذّبون به ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ جواب «لو» محذوف تقديره: لنجّاهم ذلك من العذاب ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ماذا أجبتم رسلي؟ هل آمنتم بهم وصدّقتموهم؟ أم استهزأتم بهم وكذّبتموهم؟ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ حاروا في الجواب، وأظلمت عليهم الأمور، فلم يعرفوا ما يجيبون!؟ قد انعقدتْ ألسنتُهم، وإنما سمّى حُجّتهم أنباءً أي أخباراً، لأنها لم تكن في الحقيقة حُججاً، إنما هي حكايات ومزاعم، والأصلُ أن يُقال: عَمُوا عن الأنباء، وعُكس للمبالغة، ويسمى (التشبيه المقلوب). ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ ليس لأحد الاختيار، أمام حُكم الجبار ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه صدورهم، من الكفر والعداوة للرسول والمؤمنين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقٍّ إلا ربُّ العزة والجلال ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ له المجدُ والثناء الكامل في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ وله القضاءُ النافذ، والفصلُ بين العباد، وإليه مرجع الخلائق يوم القيامة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿سَرْمَدًا﴾ لو جعل الله عليكم الليل دائماً، مستمراً بلا انقطاع ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ من هو الإله الذي يقدر أن يرفع عنكم هذه الظلمة ويأتيكم بالنور والضياء؟ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وتفكر!؟ ﴿ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ وأخبروني أيضاً لو جعل الله عليكم النهار دائماً مستمراً بلا انقطاع ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ تستريحون فيه من تعب العمل في النهار؟ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ هذه المنافع العظيمة لتشكروا ربكم عليها؟ ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقبان بدقة وإحكام ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ لتستريحوا بالليل من نَصَب الحياة وأشغالها ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ولتلتمسوا بالنهار أسباب الكسب والمعاش ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيُّها ﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ هاتوا حجتكم على الكفر والإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ توضّح لهم أنهم كانوا على ضلال، وغاب عنهم ما كانوا يتبونه إلى الله من الشركاء والأنداد ﴿مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ من عشيرته وجماعته ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ تكبّر وتجبّر على قومه بماله وسلطانه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أعطيناه من الأموال والكنوز ما يثقل حمل مفاتيح خزائنها على الجماعة الأشداء ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر وتتكبر على الناس ﴿لَفَرِحٌ﴾ يبغض البطرين المتكبرين.

تذكير وتبصير: نبّهنا تعالى إلى ظاهرتين عظيمتين: هما (الليلُ) و(النهار) وهما من الآيات الباهرة، الدالة على قدرة الله ووحدانيته، ولكنّ الناسَ ألِفُوا رؤيةَ الشمسِ تشرقُ عليهم في الصباح، ثم تغيبُ عنهم في الليل، وألِفوا النّهار يُقبل ثم يُدبر، وإلْفُ الإنسانِ للشيء يُفْقِدُه ما فيه من روعة الجمال والإبداع، ولهذا قال: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾!!

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ۙ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

﴿عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ قال قارون: إنما حصلت على هذه الثروة بذكائي وفهمي، وعلى علم مني بوجوه المكاسب ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ ألم يعلم هذا الأحمق المغرور، أن الله أهلك من الخلائق قبله ﴿أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ من هو أقوى منه جسداً، وأكثر منه جمعاً للمال؟ ﴿عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ولا حاجة أن يسألهم الله عن ذنوبهم، لأن الله عالم بجرائمهم ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ خرج قارون على قومه في أظهر زينة وأكملها، مع خدمه وحشمه ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا﴾ قال الجهلاء الحمقى: يا ليت لنا من المال والغنى، مثل الذي أعطيه قارون ﴿حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ذو نصيب وافر من الدنيا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ قال لهم العقلاء، من أهل الفهم والبصيرة: بئس ما قلتموه، فإن ما أعدّه الله للمؤمنين خير من كل ما تروه من النعيم الفاني الزائل ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ لا ينال هذه المنزلة الرفيعة، إلا أهل الإيمان والصبر ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه وأمواله، جزاء عتوّه وبطره ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلمة تعجب ومعناها: تنبهوا واتعظوا ﴿يَبْسُطُ﴾ يوسّع ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضيّق ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لا ينجح الكافرون في مسعاهم.

رُوي عن ابن عباس أنه قال: (كان قارون ابن عمّ موسى، ولكنّ عدوّ الله نافق، وحسد موسى، فقال له موسى: إن الله أمرني أن آخذ منكم الزكاة فأبى وقال لجماعته: إن موسى يريد أن يأكل أموالكم، ثم لفّقوا على موسى تهمة الزنى، فأوحى الله إليه أن يأمر الأرض أن تأخذهم، فغابوا في جوفها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾) رواه الحاكم وصححه

سورة القصص
إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾
سورة العنكبوت
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنزله وفرض عليك العمل به ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ سيردك إلى مكة كما أخرجك منها، وهذا وعدٌ لرسوله بفتح مكة، وعودته إليها ظافراً منتصراً ﴿جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الله أعلم بالمهتدي والضال ﴿إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ما كنت تطمع أن تأتيك النبوة، ولا أن ينزل عليك القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولكنّ الله رحمك بذلك، ورحم العباد

الجزء ٢٠

﴿ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تكن عوناً لهم على باطلهم، وهو تحذير للأمة من موالاة أعداء الله ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ كلُّ شيء يفنى ويبقى الحيُّ القيوم، قال ابن كثير: وهذا إخبار بأنه الدائم الباقي، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فعبّر بالوجه عن الذات، أي كلُّ شيء هالكٌ إلا الله جلّ وعلا. اهـ. قال الضحّاك: لمّا هاجر النبي ﷺ من مكة، ووصل الجُحْفة ـ وهي قريبةٌ من المدينة المنورة، اشتاق إلى رؤية مكة، فأنزل الله عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ..﴾ الآية قال البخاري: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكة.

سورة العنكبوت

﴿فَتَنَّا﴾ اختبرنا من سبقهم بأنواع المحن والمصائب ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ يميّز الله بين الصادقين في دعوى الإيمان، والكاذبين فيه ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ هل يظن الفجار أنهم يتخلّصون من عقابنا ويعجزوننا؟ ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يظنون ويتوهّمون ﴿يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ من كان يطمع في رحمة الله ويرجو ثوابه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ فإن لقاء الله قريب، فليصبر على طاعة الله، وثوابه لا يضيع عند الله ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ من جاهد لتزكية نفسه، وكفّها عن الشهوات، فمنفعة جهاده لنفسه.